http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد(1371) السنة السادسة -الاثنين (17) تشرين الثاني 2008

عندما تشيخ الذئاب لجمال ناجي

بانوراما الفوضى الممنهجة

حازم مبيضين
عمان

أصدرت وزارة الثقافة الاردنية مؤخراً وضمن سلسلة روايات التفرغ الإبداعي، رواية (عندما تشيخ الذئاب) للروائي جمال ناجي التي كتبها خلال فترة تفرغه لمدة عام.

جمال ناجي

تتكون الرواية السادسة لناجي من خمسين فصلاً قصيراً، تسرد خلالها كل شخصية حكايتها بلغتها الخاصة، وتكشف الجوانب التحتية لمجتمع المدينة، الذي يتستر على كثير من التجاوزات والممارسات السياسية والدينية والجنسية والاجتماعية، ويلاحظ فيها حرصه على المبالغة في إبراز الجوانب المشرقة، بهدف إخفاء ما هو مسكوت عنه في منظومة القيم التي تنهار تباعا بحكم الإحباطات، والتحولات التي يعيشها المجتمع، وما يكتنف هذه التحولات من أسرار تقف وراء الكثير من الإختلالات التي تطال عمق الحياة في المدينة.

وتطرح الرواية بجرأة، قضايا استثمار الدين، والجنس، والحرية الإجتماعية التي تم إهمالها في غمرة الإهتمام بالحرية السياسية ذات البعد الواحد، وتتخذ هذه الحرية أشكالاً متعددة في الرواية، باعتبارها سبباً ونتيجةً، ودافعا لكثير من المواقف المربكة التي تجد الشخصيات نفسها أسيرة لها، أما مسألة تهافت المثقفين على السلطة، فتبدو جلية في شخصية جبران الذي يرتقي ويتسلم منصباً مهماً في الدولة، بعد أن كان مناضلاً يسارياً، في حين يصطدم الإعتدال بنزعات التطرف التي تمثلها إحدى الشخصيات المتدينة المتطرفة التي تريد تغيير الحياة بالسيف.

ويشكل أحد الأحياء الفقيرة في العاصمة الاردنية عمان، منطلقاً لهذه الشخصيات إلى عالم المنافع والنفوذ، بعد أن يشهد الكثير من الأحداث الطاردة، التي تضطر الشخوص إلى البحث عن بدائل تؤدي إلى تغيير مسارات حياتها، ضمن حزمة من القيم المنهتكة، القائمة على استثمار الدين لغايات شخصية، كذلك فعل الجسد ممثلاً بشخصية إمرأة شهوانية، تتحول إلى عاشقة لابن زوجها، فيما يسطع نجم شخصية أخرى وترتقي لتتبوأ منصباً سيادياً مهماً في الدولة، بمساعدة زوجته والشيخ الباطني، الذي يدعي التدين، لكنه في أعماقه يئن تحت وطأة الرغبة في تحقيق مزيد من النفوذ السياسي والاجتماعي.

تتواجه شخصيات الرواية بشراسة في أكثر من واقعة، لكن تلك المواجهات تتخذ في معظمها سمات الصراع العقلي المستند الى الذكاء المتوقد، حيث ترى كل شخصية نفسها في مرايا بعضها بعضا، لتلتقي في نهاية المطاف في مرآة الشخصية الرئيسة (عزمي الوجيه) الذي يبدو غامضاً مثيراً للتساؤل، وقادراً على جذب الآخرين، غير أنه في الوقت نفسه، يخضع لمجموعة من المؤثرات، تبعده عن النهج الذي اتبعه في بداية حياته، وتفتح أمامه أبواب حياة جديدة مختلفة.

وعلى الرغم من أن شخصيات الرواية تفاجأ في نهايتها بما تنطوي عليه حياة عزمي الوجيه من خفايا وأسرار، إلا أن عزمي ذاته، يكتشف أسراراً كبرى لا يعرفها إلا في نهاية الرواية، على الرغم من علاقتها اللصيقة بشخصه وتاريخه وانتمائه.

يمكن القول بأن هذه الرواية تمثل نوعاً من تصفية الحساب مع الحياة، لكن لكل شخصية أسلوبها ومنطلقاتها في هذه التصفية، خصوصاً أن ذئاب الرواية (شخوصها) تستشعر الخطر حين تكتشف صقيع واقعها الذي يتناقض مع قناعاتها وطموحاتها وهو الصقيع الذي يرغمها على تغيير مساراتها وتوجهاتها.

رواية جمال ناجي الأخيرة تعتبر إضافة نوعية ومهمة لما كان أصدره منذ عام ١٩٨٢ والمتمثل بخمس روايات هي:

الطريق الى بلحارث١٩٨٢
وقت ١٩٨٤
مخلفات الزوابع الاخيرة ١٩٨٨
الحياة على ذمة الموت ١٩٩٣
ليلة الريش ٢٠٠٤.

و ثلاث مجموعات قصصية هي:

رجل خالي الذهن ١٩٨٩
رجل بلا تفاصيل ١٩٩٤
ما جرى يوم الخميس ٢٠٠٦.

الاستعارة التنافرية في مجموعة (خريف المآذن)

جاسم خلف الياس

إذا كان من المألوف أن يسكن الوجع الإنسان العراقي العادي جدا لأسباب أضحت معروفة للقاصي والداني ، فكيف بهذا الإنسان إذا كان متلبسا بالشعر ومحتدما بعشق الوطن الذي ليس له من وجوده إلا التذكر، ومزحوما بالانفلات من قسوة المفارقة حين يتذكر ألا وطن له:

آه
أتذكر أنني بلا وطن
وان الحروب ما زالت تحتفي وتغير أشكالها
والشظايا سعالي المزمن
بساطيل الحرس مسخت ذكرياتي
كل ما في راحتي رماد
أين سأحفظ قبلات النهر الذي دخل المدينة ذات يوم متنكرا بهيئة صبي؟
فاغتصبه الجنود..المجموعة ٣٩))

إذن من المؤكد إن مفارقات الحياة بحزنها وقلقها وتمردها واغترباتها ، ستعصف بهذا الإنسان، وسوف تتلاطم أمواج واقعه المؤلم في رؤية شعرية تمتلك من التقانات ما يؤهلها لأن تبقينا في متعة التلصص بـ (مزيد من الاندهاش أمام فخاخ النص..المجموعة٢١)

ولأننا أطرنا مقاربتنا بالاستعارة التنافرية سندع المهيمنات الاسلوبية الاخرى في المجموعة لفرص قادمة .

تعد الاستعارة التنافرية تقانة من تقانات الكتابة الحداثية التي يوظفها الشعراء لغرض خلق التوازن الداخلي الذي يفتقدونه خارجيا، فهي لا تولد من فراغ ،وإنما هي وليدة موقف نفسي وثقافي وتقوم في جزء كبير منها على المفارقة، ونجدها تقرب المتنافرات، وتجبر أبعد الأشياء عن بعضها على التقارب والترابط في سياق فني جديد يثير المتعة والدهشة والجمال لا بل تجاوز الأمر عند الشعراء إن اجترار الوحدة والذكريات والهذيانات قد منح الشعراء التفرد في القول الشعري، كل حسب طاقته الإبداعية، وهنا يعاملنا الشاعر باسم فرات بوعي شعري مؤثث بالتقانات الجمالية التي تمنح النص طاقة إضافية ومنها الاستعارة التنافرية في (تزهو بحطامك) ولا أدري كيف يستطيع الإنسان الزهو بحطامه في الواقع؟ نعم يحث مثل هذا الحدث غير المتوقع أبدا ولكن في التعبير الشعري الخلاق فحسب.

باسم فرات

انا
السومري
المدجج بالأحلام والأسئلة متلكئا
أنفض الحنين عن أصابعي
أرتجف داخل حياتي
عبثا أنزع الخوف عن وسادتي
أمسد عذوبة الغابات
أواري خجل البحر
أمام رعونة الموج
أقود القناديل إلى الضياء.....١٣

وهل يحتاج الضياء إلى قناديل ؟ نعم فالضياء في رؤية الشاعر هو ليس الضياء في رؤيتنا نحن لذا حين ينزع الخوف عن وسادته ويمسد عذوبة الغابات، ويواري خجل البحر، لحظتها سيعمل على قيادة القناديل إلى الضياء وهنا تكمن المفارقة الديوجينية في البحث عن المقاومة أمام الخنوع والشجاعة أمام الخوف والهدوء أمام الصخب، كل هذا يحدث لكي يستطيع الأسى أن يفتح أزرار انكساراتنا مبتهجا، فالانكسار والبهجة مفردتان تتعالقان بالتوتر النفسي والحسي للشاعر وقد أضفى السياق الشعري عليهما سمة الخلق المرتكز في الطاقة السحرية للغة.

ليعبر الجنوب ترفع أثوابها الفصول
الأسى ذاته يفتح أزرار انكساراتنا مبتهجا.....١٩

كما يستخدم الشاعر نوعا آخر من الاستعارة التنافرية وهي الاستعارة اللونية وعلى الرغم من أن استخدام هذه التقانة ليس بجديد إلا ان لكل شاعر استخدامه الخاص وقد جعل الشاعر هنا لون الندى أحمر ليخول معرفتنا الاتجاه نحو تعليل هيمنة اللون الأحمر وتبدو واضحة جدا دون المساس بشاعريتها

هل لي لأرتب موعدا أستضيف الأصدقاء
بلا بهرجة الندامى أو زخرف الملائكة
وبلا ندى أحمر يبلل رائحة المنفى ٢٠

وعلى الرغم من كثرة استخدام مثل هذه الإستعارة من الشعراء؛ إلا إن الاستخدام المنفرد لكل شاعر يعطي خصوصية تضاف إلى منجزه الشعري وهذا ما حدث مع الشاعر باسم فرات إذ استطاع أن يعبر في العلاقة بين الدال والمدلول بوساطة خلق مسارات استدلالية تتجاوز المسار التقليدي المجتر لتناسب العلاقات وتكراراتها وتخلخل توقع المتلقي متخلصة من شوائب التقريرية والمباشرة إلى الشعرية التي تتغلغل في النص وتتوسع تبعا للعبث بالعلاقات القائمة بين الدال والمدلول

يدي مدماة بثلج يتلعثم كلما قشر الضباب رئتي ٢١

كيف لي أن أقول انثى؟
ولا اعني كربلاء واقول مدينة ولا تشرئب أمي متشحة بكل
الليل بيضاء.....٤٥

فالثلج الأبيض في الواقع يتحول إلى ثلج أحمر في المتخيل الشعري وسواد الليل يتحول إلى بياض وهكذا تستمر هذه التقانة بخلخلة كل ما هو طبيعي ومستند إلى القاموس المعجمي.

الحداثيين إلى (مزج المتناقضات في كيان واحد يعانق في إطاره الشيء نقيضه، ويمتزج به مستمدا منه بعض خصائصه ومضيفا إليه بعض سماته تعبيرا عن الحالات النفسية والأحاسيس الغامضة المبهمة، التي تتعانق فيها المشاعر المتضادة وتتفاعل)

وعند مقاربتنا مجموعة (خريف المآذن) للشاعر باسم فرات وجدنا إن الاستعارة التنافرية تشكل إحدى التقانات التي ارتبطت تمظهراتها بتجربة الشاعر وهو يعيش النفي بكل سطوته وقسوته فضلا عن معايشته فضاء الحروب وخراباتها الموبوءة بالمعاناة والدموع التي وشمتنا جميعا بوصفنا عراقيين:

سلاما عباءات الدموع التي هي تاريخنا بلا شك..المجموعة ١١

وإذا كانت هذه الجملة الشعرية تستفز المتلقي لثقل حمولتها الدلالية وتتعبه في البحث عن مكامن التدليل فإن جملة:

سلاما مناديل الوداع التي جففها
مطر الانتظار....
المجموعة ١١

تثير المتلقي في إقامة علاقات لا منطقية أبدا بين الأشياء بوساطة السعي الى خلخلة العلاقات المألوفة بينها تبعا لرؤية الشاعر التي من مهمتها ترتيب الأشياء حسب رؤيتها الداخلية وليس حسب الواقع المعيش والحقيقة الثابتة، لذا خلق لنا الشاعر مفارقة اعتمدت على ثنائية الجفاف/ الندى فهل من المعقول أن يجفف المطر أي شيء ؟ طبعا هذا لا يحدث إلا في العلاقات اللامنطقية التي بنيت على مرتكز شبه منطقي وهو أن الوداع يحتاج إلى انتظار وبذلك استطاع الشاعر ان يخلق لنا فجوة تتغير فيها العلاقة بين الدال والمدلول

أنت وحدك
تملأ الأنهار أغان وذكريات
وتعري الموجة من هذياناتها
تزهو بحطامك.....١٢

(الحروفي)

محاولة في نمذجة أنثولوجيا الشاعر

صباح الانباري

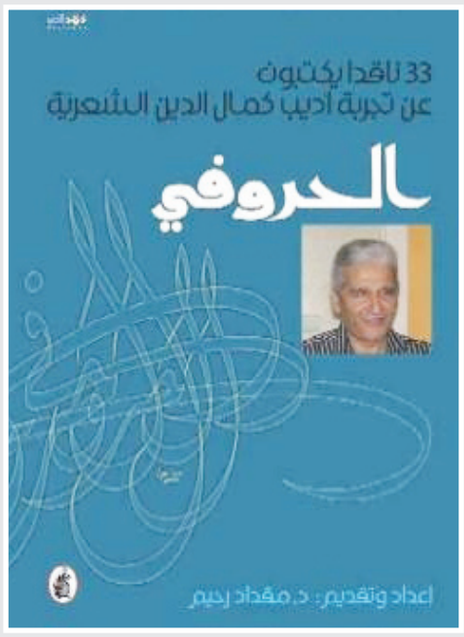

يحظى بعض الأدباء والفنانين باهتمام نقدي، غير محدود، لغنى تجاربهم وتميز أساليبهم، وسعة أفقهم، وحداثوية مشاريعهم. وقد تناول النقد تجاربهم تلك بالتحليل والتأويل والتفسير والتركيب والتفكيك والاستقراء والاستبطان والاستكناه والاستنتاج والبحث والدراسة والحفر في آثار تلك التجارب ومرجعياتها في فصول أو كتب جعلت وقفا على خصوصياتها وتفردها أو تميّزها من بين عشرات وربما مئات التجارب الأخرى. ويعد كتاب (الحروفي)، الذي أعده وقدم له د. مقداد رحيم، واحداً من تلك الكتب التي سعت إلى أن تتضمن في الاغلب إن لم نقل كل ما كتب عن التجربة الإبداعية لهذا المبدع، وفيه تضافرت جهود ثلاثة وثلاثين ناقداً تناول بعضهم ارتكاز تجربة الشاعر أديب كمال الدين على الحروفية التي صار يعرف بها ويتميز بتنويعاته عليها، فضلاً عن تناول بعضهم الآخر لموضوعات أساسية في تجربته أتاحت المزيد لمن يريد التعرف على الموجهات الفنية والفكرية في منجز أديب كمال الدين الشعري.

ان كتاب الحروفي لم يكن الأول في مضمار جمع وتدوين وتوثيق ما كتب أو يكتب عن المبدع ومنجزه الإبداعي بطريقة توثيقية فلقد سبقته تجارب أخرى وستلحق به تجارب أخرى. ويظل المهم في هذا كله هو البحث عن كيفيات نمذجة هذه الطريقة لتصبح أكثر تكاملاً وغنى عما قدم لنا في النماذج السابقة. والسؤال الذي يُثار هنا هل استطاع كتاب الحروفي أن ينمذج طريقته بإضافات جديدة؟

لنبدأ بمقدمة د. مقداد رحيم وما قدمته لنا كوننا متلقين ومتابعين لتجربة الشاعر الإبداعية. لقد اختصرت المقدمة تناولها لتلك التجربة اختصاراً شديداً معتمدة على الإشارات السريعة التي ألقت من خلالها أضواء خاطفة على بعض تجلياتها. ففي الفقرة الأولى يقول د. مقداد رحيم ما يأتي:

هذه باقة من الجهود النقدية المهمة التي تضافرت لتشكّل خلاصة نقدية مثمرة طيبة الأكل، ولتكون أنموذجاً نقدياً يمكن أن يحتذى به، فيصار إلى افتراع اتجاهات نقدية جديدة تأخذ على عاتقها بلورة الرؤى حول التجارب الإبداعية المائزة، ليس في مجال الشعر وحده، بل يمكن أن تعمم لتشمل الفنون الإبداعية كلها، "كتابة ورسماً ونحتاً وسماعاً".

وفي هذا إشارة واضحة إلى كون (الحروفي) أنموذجا يمكن أن يحتذى مع أنه مسبوق بنماذج من هذا القبيل لها من الأهمية، فنياً وتوثيقياً، ما لـ (الحروفي) بالضبط. إن جمع المقالات والدراسات في كتاب لا يشكل أنموذجاً يحتذى ما لم يضاف اليه ما يجعله متميزاً فعلاً. لقد وجدت، على صعيد الإعداد، في (الحروفي) أن المعد ابتدأ من المقالات التي كتبت عن آخر أعمال الشاعر معتمداً الترتيب التنازلي لمطبوعاته من الدواوين فجاء الفصل الثاني متضما على كل ما كتب عن ديوانه الأخير(ما قبل الحرف..ما بعد النقطة) الصادر عام ٢٠٠٦ وجاء بعده الفصل الثالث ليتناول فيه المعد ديوان (حاء) الصادر عام ٢٠٠٢ ثم ينتقل منه إلى الفصل الرابع والذي تناول فيه ديوان(النقطة) الصادر بطبعته الأولى عام ١٩٩٩ وبهذه الطريقة التنازلية جاء ترتيب الفصول اللاحقة ترتيباً فوّت، على المتلقي، فرصة الإطلاع على تجربة الشاعر خطوة إثر خطوة ابتداء من أول الدواوين.

في الفقرة الثانية من المقدمة يشير المعد إلى أن تجربة أديب كمال الدين "تتجلّى عبرها أصناف لا عد لها من المحن والكوارث التي ليس للبشر قبل بتحملها"، وهي إشارة دقيقة إلى تضمن التجربة على كل ما هو إنساني وبشري وعلى تفرّد أديب بوضعها ضمن تشخيصاته الحروفية المؤنسنة، وهذه وحدها تحتاج إلى دراسة واسعة لا يمكن أن يغامر بها المعد ضمن مساحة مختزلة جداً ولهذا نراه اكتفى بهذه الإشارة حسب.

وفي الفقرة الثالثة يقول المعد عن تجليات التجربة أنها تجربة "فريدة ذات خصوصية تدل على الشاعر وحده، وتختص به من دون سواه، وقد بدا وكأنه يعمل من أجلها بإخلاص وحب شديدين، منذ زمن ليس باليسير". وهذه أيضاً إشارة دقيقة كسابقتها وكلاحقتها التي اختصت بالقول أن خصوصيتها هي التي ولدت (التجربة الحروفية)"حتى أصبح لصفة(الحروفي) وقعها الخاص الذي يدل على الشاعر أديب كمال الدين وحده وحتى صار مناسباً أن تكون هذه الصفة عنواناً لهذا الكتاب". بهذه الإشارات فقط جاءت المقدمة مقتضبة ومختصرة لتجربة تناولها النقاد، والدارسون، والباحثون بما يزيد على ٣٥٠ صفحة من (الحروفي). وإنصافا لكل ناقد من الذين اسهموا بتشكل هذا الكتاب التقط المعدُّ بعض ما جاء في مقالاتهم بجهد يدل على قراءته العميقة لكل مقالة منها واختياره لما يمثل جوهرها وفي الوقت الذي نثمن فيه هذا الجهد الرائع في القراءة والاختيار نشير إلى أنه لم يكن إلا جهداً انتقائياً حسب، وعملاً يمكن القيام به بسهولة لا تترك مجالاً لجعله من الكتب التي يحتذى بها في هذا المضمار.

ن أهمية (الحروفي) تكمن في أنه استطاع أن يوفر لمتابعي شعر أديب كمال الدين فرصة الإطلاع على التنويعات النقدية التي تناولت حروفية الشاعر على وفق رؤى نقدية مختلفة وإن تقاربت حيثيات المنهج النقدي بين هذا الناقد أو ذاك. وهنا أشير إلى تضافر جهود عدد من النقاد والشعراء والأدباء والكتاب الذين استهوتهم تجربة الشاعر محفزة في دخائلهم الرغبة في سبر أغواره أو الجنوح إلى تفسير حروفه أو الكشف عن المديات الإنسانية فيه فراداً، كل على وفق منهجه الخاص، بعيداً عن الموجهات المؤسساتية (الجمعيات والروابط) التي توجه العملية النقدية برمتها ليكون الجهد مثمراً عبر دراسات لا شك في أنها ستوفر للقارئ مساحات معرفية هو في أشد الحاجة اليها.

صدى المطابع

التربية والأيديولوجيا

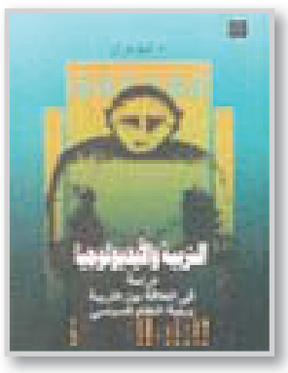

يعالج المؤلف شبل بدران في كتابه (التربية والايدلوجيا) الصادر عن مركز المحروسة للنشر في القاهرة، قضية بالغة الخطورة، وهى العلاقة بين النظام السياسى السائد، والتعليم كقيمة تربوية. فكيف يؤثر النظام بمكوناته المتناقضة والمتصارعة أحيانا، فى العملية التعليمية.

وجع المصريين

الكتاب الصادر في القاهرة لمؤلفه خليل فاضل هو ليس نصاً أدبياً، وليس نصاً نفسياً اجتماعياً خالصاً.. فى هذا الكتاب كتب المؤلف عن عوالم بشرية تبدأ من الواقع تضيف إليه وتسرق منه، الكتاب يدعونا للبحث عن الشمبانزى الاجتماعى الموجود فينا.

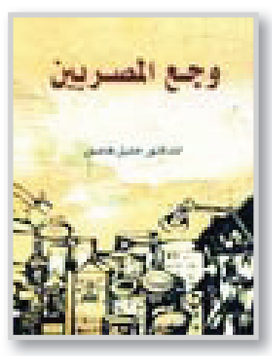

متحف البراءة

صدرت في المانيا الترجمة الالمانية لرواية الكاتب التركي الحائز جائزة نوبل العام الماضي (متحف البراءة) وهي الترجمة الاولى لها بعد صدورها بالتركية قبل اشهر متزامنا مع احتفاء معرض فرانكفورت بتركيا هذا العام.

البيت البغدادي

يسعى كتاب البيت البغدادي للمولف علي الحيدري والصادر عن دار المدى للنشر الى اعطاء صورة عن القيم والبنى التحتية التي تحكمت في هندسة معمارية تقليدية لاتزال قادرة على منحنا افكارا مهمة.

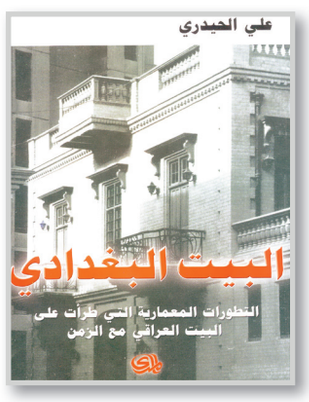

اسمهان.. تروي قصتها

نقرأ فى هذا الكتاب للمؤلف محمد التابعي والصادر عن دار الشروق سيرة الفنانة الكبيرة بكل التفاصيل، كما روتها بنفسها وكما عاشها معها «محمد التابعي» أمير الصحافة المصرية وأحد أهم روادها. والذي جمعته بأسمهان علاقة طويلة نتتبع خيوطها داخل الكتاب.